مكتبة البنين
قسم الدوريات
غير مصرح بإعارته من المكتبة

حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

العدد الرابع

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

بحوث الفضاء
في ضوء القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور
محمد عبد الغني شامة
الأستاذ بقسم الدعوة والثقافة
الإسلامية

بحوث الفضاء
في ضوء القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور محمد عبد الغني شامة

نزل الوحي على محمد ﷺ طالباً منه أن يبلغ الناس جميعاً بهذه الرسالة السماوية ، وأن يوضح لهم أن خطاب الله موجه إلى جميع البشر ، على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم ، وعلى تباين درجاتهم الثقافية والحضارية ، فرسالة الإسلام للناس جميعاً في كل العصور والأزمان ، وفي جميع مناطق الكرة الأرضية لا فرق فيها بين من يسكن في شمالها أو جنوبها ، أو يقطن في شرقها أو غربها .

ومن المعروف علمياً أنه يكاد يكون من المستحيل أن يصاغ كلام تفهمه جميع الطبقات الثقافية في المجتمع البشري ، ويرضون عنه نفسياً ، لأن ما يستحسن لدى السمع طبقة ، يكون أقرب إلى الهذيان منه إلى ما يرضي العقل ، ويمتع السمع لدى طبقة أخرى . وما تميل إليه عقول شريحة إجتماعية وتستأنس به ، تعجز عقول شريحة أخرى عن فهم أسراره ، وإدراك معانيه . كذلك الحال بالقياس الزمني ، فما يقرر من النظريات في عصر ، تثبت الأبحاث والتجارب خطأه في العصور التالية ، وما تؤكده العقول والأبحاث في زمن تنفيه عقول وتجارب الأجيال اللاحقة ، وتبين بما لا يدع مجالاً للشك خطأ من سبقوهم ، وضلالهم فيما اعتقدوا أنه هو الصحيح ، الذي لا نقض له .

ولهذا كان من المستحيل عقلياً وعملياً أن يتحدث دين بالتفصيل عن خلق الكون وظواهره حديثاً ، ترضى عنه كل الطبقات الثقافية ، وتثبت القرون التالية أنه الحق الذي لا مراء فيه ، والحقيقة التي لا يمكن أن تنقض ، مهما استحدث الإنسان من آلات ومجاهر تكشف له ما خفى من أسرار الطبيعة ، فقد أثبت العلم الحديث أن النصوص التي تحدثت عن خلق الكون في الكتب المقدسة ـ التي سبقت الإسلام ـ لم تكن دقيقة ، بل إن بعضها أصبح ـ بعد ظهور النظريات الحديثة عن خلق الكون ـ لغواً لا معنى له ، فمثلاً تذكر التوراة بوضوح ـ ليس فيه إشارة ولا تورية ، ولا تضمين لمعاني الكلمات ـ أن الله أتم الخلق في ستة أيام ، ثم استراح في اليوم السابع ، وذلك بالتجانس مع أيام الأسبوع . وهذا أمر واضح الخطأ ، ذلك أن كلمة « يوم » كما يفهم من التوراة ، تُعَرِّف المسافة الزمنية بين إشراقين متواليين ، للشمس أو غروبين متواليين وذلك بالنسبة لسكان الأرض . إن اليوم وقد تحدد بهذا المعنى يرتبط وظيفياً بدوران الأرض حول نفسها ، وواضح تماماً أنه من المستحيل منطقياً أن يتحدث عن « الأيام » بهذا المعنى الذي تحدد ، على حين أن العملية المركبة ، التي ستؤدي إلى ظهورها ـ أي وجود الأرض ، ودورانها حول الشمس ـ لم تكن قد أنشئت بعد عند أولى مراحل الخلق ، وذلك بحسب رواية التوارة .

فكيف عالج الإسلام الوضع دون أن يقع في الخطأ ؟

وكيف استطاع أن يخاطب الناس في تلك العصور بحديث عن خلق الكون ، دون أن يصطدم بعجزهم عن فهم النظريات الكونية ، التي لم يكن لهم بها علم ، اللهم إلا شذرات قليلة ، إنحدرت إليهم من الكتب السابقة التي كانت في معظمها أساطير ، لا تعبر عن حقيقة الوجود تعبيراً صحيحاً ؟

عبر القرآن الكريم عن خلق الكون بأسلوب تفهمه كل الطبقات الثقافية ، وترى فيه بغيتها ، واطمئنانها النفسي ، ومع ذلك لا يتصادم مفهومه مع ما تتوصل إليه

حدث الأبحاث والتجارب العلمية ، ذلك أنه ذكر أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، وهو أمر يركن إليه من لا علم له بنظريات خلق الكون ، لكنه أضاف إلى ذلك أن مفهوم اليوم ، ليس هو ما تعارف الناس عليه من الفترة الزمنية التي تنحصر بين شروق الشمس وغروبها ـ أو على حد تفسير آخر ، بين غروب الشمس وغروبها في اليوم التالي ـ بل بيَّن أن له معنى آخر ، وهو الحقبة من الزمن التي يتجاوز طولها كل ما يمكن أن يخطر ببال إنسان ، ويتضح ذلك من قوله تعالى : « تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة »[1] .

ومن هنا فإن من ينظر في آيات الخلق في القرآن الكريم ، عليه أن يتذكر أن أيام خلق الكون ليست كالأيام عند الناس ، لأن المراد بها في التعبير القرآني المراحل ، فمعنى خلق الكون في ستة أيام ، أنه خلقها في ستة أحقاب ، وذلك ما أشار إليه العلم الحديث بمراحل الخلق . ولا شك أنه ـ أي العلم الحديث ـ لم يسمح للناس بتقرير أن عدد المراحل المختلفة للعمليات المعقدة ، التي أدت إلى تشكيل العالم هو ستة مراحل ـ وربما يثبت ذلك مستقبلاً ـ ولكنه قد أثبت بشكل قاطع أنها فترات زمنية طويلة جداً ، تتضاءل إلى جانبها الأيام كما نفهمها ، وتصبح شيئاً تافهاً . وقد أشار القرآن الكريم إلى أن اليوم المذكور في مجال خلق الكون هو فترة زمنية طويلة ، عبر عنه تارة بخمسين ألف سنة ، كما ذكرنا ، وأخرى بألف سنة كما في قوله تعالى : « إن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون »[2] مما يدل على أن المقصود ليس ألف سنة ، أو خمسين ألف سنة ، وإنما بيان أنه فترة طويلة جداً لا تقاس باليوم العادي المعروف للناس بعد إتمام الخلق ، وهذا دليل مؤكد على أن المقصود به « مرحلة » ، أي أنه خلق الكون في ست مراحل .

فالتعبير عن أطوار الخلق بالأيام إعجاز نفسي له أهميته في تحقيق الهداية التي

---

(١) المعارج : ٤ .

(٢) الحج : ٤٧ .

أنزل من أجلها القرآن الكريم ، ألا وهو صلاحية التعبير لأن يفهمه جميع الناس ، وفي كل العصور ، كل حسب معطياته الثقافية والحضارية ، فلا يكون عجز طبقة أو جيل منهم عن فهمه حاجزاً في طريق هداية الناس إلى اعتناق الإسلام ، ومع هذا يتضمن كل ما يتوصل إليه العلم من نتائج . ولا يقدر على هذا إلا خالق البشر ، فهو أعلم بما هو كائن ، وما سيكون .

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

- ٢ -

لم يعرف الإنسان في العصور القديمة عن الطبيعة إلا النذر القليل ، بل إن معلوماته - وبالتالي معتقداته - عن الظواهر الطبيعية المحيطة به ، تبين مدى سطحية عقليته في ضوء ما كشف عنه العلم الحديث ، وأحياناً . . . تبدو نظرته إلى بعض هذه المظاهر - بالنسبة إلى النظريات العلمية ، التي توصل إليها العلماء في عصرنا الحالي - خيالاً أسطورياً ، أقرب إلى السذاجة منه إلى النضج الفكري ، وأكثر إلتصاقاً بعالم اللامعقول منه بالإفصاح عن حقيقة كونية ، تقرب من الواقع أو تدانيه ، فقد كان الناس يرون أن الأمطار تنزل من السماء ، وأن الأرض مستوية كالفراش ، وأن السماء سقف الأرض ، وكانوا يرون أن النجوم مسامير لامعة من الفضة ، مركبة في قبة السماء أو أنها قناديل معلقة في الفضاء . . .

وكان أهل الهند الأقدمون يؤمنون بأن الأرض محمولة على أحد قرني « البقرة الأم » وهي حين تقوم بنقل الأرض من قرن إلى آخر يحدث الزلزال على البسيطة . وكان الناس يرون أن الأرض ساكنة بلا حراك ، وأن الشمس هي التي تسير . . . الخ .

كان الإنسان مؤمناً بهذه التصورات وغيرها مما يتعلق بالكون إلى أن جاء كوبرنيك (١٤٧٣/١٥٤٣م) فبرهن على أن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس ، وتقدمت الأبحاث الفلكية رويدًا رويدًا ، فزادت معلومات الإنسان عن كثير من مظاهر الكون حوله ، فكشف عن أسرار كثيرة ، أظهرت خطأ كثير من معتقدات الإنسان في الظواهر الطبيعية ، ووضحت أن كثيراً مما توصل إليه العلماء ـ في القديم ـ في عالم الكون ، واعتقدوه ، أصبح خطأ بينا لا يشك في ذلك أحد .

وهذا يدل بكل صراحة على أنه لا وجود لكلام إنساني تدوم صحته كلياً . . . لأن الإنسان يتكلم عما هو معروف من المعتقدات والعلوم في عصره ، ويسرد ما وجده في زمنه شائعاً بين الناس ، سواء وقع كلامه في دائرة الشعور أو اللا شعور . ولذلك لا نجد كتاباً مضى عليه حين من الدهر إلا وهو مملوء بالأغلاط والأخطاء من سائر نواحيه ، نظراً إلى الكشوف الحديثة في كل الميادين .

بل إن من اشتهر في التاريخ الفكري بحصافة رأيه ، وسداد فكره ، ودقة ملاحظاته وقع في أخطاء ، كان من الممكن ألا يقع فيها لو بذل مجهوداً أكبر وأشمل في هذا الميدان ، وأوضح مثل على ذلك ما قاله أرسطو ـ وهو المعروف بدقة منطقه ، وسلامة إستدلاله ـ مستدلاً على أسبقية الرجل على المرأة : « إن فم المرأة يحوي أسناناً أقل عدداً من أسنان الرجل . » فمن الواضح أن هذا الكلام لا علاقة له بعلم الأجسام ، بل هو يدل على أن صاحبه جاهل بهذا العلم ، فإن عدد الأسناء سواء لدى الرجل والمرأة .

لقد أصبح من المسلم به أن كلام السابقين لا يؤخذ على علاته ، بل لا بد أن يقول العلم ـ بإمكاناته وآلاته الحديثة ـ رأيه في كل الحقائق الكونية التي توارثناها عن الأجداد ، وخاصة بعدما أثبت العلماء عدم صحة معظم النظريات القديمة عن

مظاهر الطبيعة المحيطة بنا ، لكن ما جاء في القرآن الكريم يختلف تمام الإختلاف عن هذه الكلية . فهو حق وصادق الآن في كل ما قاله ، كما كان في القرون الغابرة ، لم يطرأ على ما قاله أي تغيير رغم مضي قرون وعصور طويلة . وهذا في نفسه دليل على أن منبعه عقل جبار ، يحيط بالأزل وبالأبد علماً ، وهو يعلم سائر الحقائق في صورها النهائية والحقيقية ، ولا يخضع علمه ومعرفته لحواجز الزمان والمكان والأحوال ، ولو كان هذا الكلام صادراً عن بشر محدود النظر والعلم لكان الزمان قد أبطله منذ عصور عديدة ، كما يحدث لكل كلام إنساني في مستقبله .

يركز القرآن الكريم على إصلاح العقل الإنساني وتزكيته ، فهو هدفه الأول ، ويقتضي هذا أن يذكر الإنسان بالنعم التي أنعم الله بها عليه في مجال الطبيعة ، الأمر الذي يجعل من المحتم أن يذكر جانباً من تركيب هذا الكون ، وهي من كبرى المشاكل التي واجهها القرآن الكريم عند نزوله ، إذ كان الأقدمون يعرفون عن تكوين الكون ومظاهر الطبيعة جزئيات قليلة ، وكانت معرفتهم هذه ناقصة جداً بالنسبة إلى المعرفة التي أتيحت للإنسان اليوم بفضل الإختراعات الحديثة ، فلو كشف القرآن عن حقيقتها في ذلك الزمان بكلمات محددة ، لاختلف الناس فيما بينهم حول ما جاء فيه ، ولو جاراهم فيما يعتقدون لكان ذلك منافياً للواقع الذي كشفته العلوم الحديثة ، فكان من الإعجاز العلمي والبياني أنه تغلب على هذه المشكلة باستعماله لكمات وتعبيرات لم تستوحشها أذواق الأقدمين ولا معارفهم ، وفي الوقت نفسه تتحمل معانيها ما كشفته اليوم ـ وتكشفه في المستقبل ـ الأبحاث الكونية . . .

كذلك كانت هناك ظواهر طبيعية معروفة لدى الأقدمين ، لكنهم لم يكشفوا عن قوانينها إلا بعد تقدم العلوم ، ومع عدم معرفتهم بهذه القوانين ، فقد أشار إليها القرآن الكريم بإشارات ، لا تحدث بلبلة فكرية بالنسبة للأقدمين ، وفي الوقت

نفسه تضع معالم على طريق البحث العلمي لإرساء النظريات المتعلقة بهذه الظواهر ، فلو تصفحنا آيات القرآن الكريم المتعلقة بالكون ومظاهره ، لوجدنا فيها دليلاً وشاهداً على هذا الإتجاه .

وبيان ذلك بالتفصيل أن معارف الإنسان الكونية تنقسم في القديم إلى قسمين : قسم كان معروفاً له ولكن لم يكشف قانونه ، والقسم الآخر لم يعرف عنه شيئاً على الإطلاق . فمن القسم الأول : قانون ضبط الأشياء السائلة ، فقد تحدث القرآن الكريم عن القانون الخاص بالماء في سورتين : هما سورة الفرقان والرحمان ، فقال في السورة الأولى : « وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً ومحجوراً »[1] .

وقال في الثانية : « مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان »[2] .

فهذه الظاهرة الطبيعية التي تحدثت عنها السورتان كانت معروفة عند الإنسان منذ أقدم العصور ، وهي أنه إذا ما التقى تياران من الماء : أحدهما عذب واالآخر ملح في مجرى واحد ، فماء أحدهما لا يدخل (أي لا يذوب) في الآخر ، ويبدو هذا في الأنهار القريبة من السواحل ، فماء البحر يدخل مجرى النهر عند حدوث « المد البحري » ولكنهما لا يختلطان ، ويبقى الماء عذباً تحت الماء الأجاج ، فهذه الظاهرة وإن كانت معروفة عند الإنسان القديم ، إلا أن قانونها لم يكتشف إلا منذ بضع عشرات من السنين ، وهو ما أطلقوا عليه « قانون المط السطحي » وهو يفصل بين السائلين ، لأن « تجاذب » الجزئيات يختلف من سائل لآخر ، ولهذا يحتفظ كل سائل باستقلاله في مجاله . وقد استفاد العلم الحديث كثيراً من هذا القانون الذي عبر عنه القرآن الكريم بقوله الله سبحانه « بينهما برزخ لا يبغيان » . وعليه فنسطيع أن نقول بدون تردد : إن المراد من « البرزخ » إنما هو « المط أو

(١) الفرقان : ٥٣ .

(٢) الرحمن : ١٩ ـ ٢٠ .

التمدد السطحي » ، الذي يوجد في الماءين والذي يفصل أحدهما عن لآخر .

كذلك جاء في القرآن الكريم إشارات مماثلة إلى ظواهر كونية ، فمثلاً يقول الله تعالى : « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها »[١] فهذه الآية وإن كانت مطابقة لما يشاهده الناس من قيام هذه الكواكب المحيطة بهم من الشمس والقمر والنجوم في الفضاء ، دون عمد ، إلا أنه أضاف إليها كلمة « ترونها » التي تحمل معنى أن هناك « أعمدة » ولكننا لا نراها ، إذ لو أغفلت الآية كلمة : « ترونها » المنفية ، لكان ذلك متناقضاً مع ما كشف عنه العلم الحديث من أن هناك عمداً غير مرئية ، تتمثل في قانون « الجاذبية » ، وهي التي تساعد كل هذه الإجرام على البقاء في أمكنتها المحددة .

إن تعبير القرآن الكريم على هذا النحو يعتبر معجزة ، لأنه أخبر الإنسان القديم بأن قدرة الله هي التي جعلت هذه الكواكب تقف في الفضاء بدون عمد ، وذلك مطابق لما يشاهده الإنسان القديم ، ثم أضاف معنى أنها قائمة بدون عمد مرئية ، لأنها هي الحقيقة التي كشف عنها العلم الحديث . فلو تحدث القرآن عن الجاذبية ، لثار جدل حول هذا المعنى لأن الإنسان القديم لم يكن في وضع يمكنه من فهم هذه الظاهرة الكونية ، فصاغها على هذا النحو الذي فيه إعجاز واضح ، إذ أنه بهذا الأسلوب لم يصطدم إصداماً مباشراً بما يعتقده الإنسان القديم ، ومع ذلك لم يكن متناقضاً مع ما توصلت إليه الأبحاث العلمية الحديثة .

وجاء في القرآن الكريم عن دوران الكواكب في الفضاء قوله تعالى : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ .[٢]

---

(١) الرعد : ٢ .

(٢) يس : ٣٨ ـ ٤٠ .

لم يكن هذا التعبير القرآني : « وكل في فلك يسبحون » موضع دهشة القدماء ، لأنهم يشاهدون النجوم والكواكب تتحرك وتبتعد عن امكنتها بعد وقت معين ، لكن البحوث العلمية قد خلعت على هذا التعبير ثوباً جديداً فليس هناك تعبير أروع ولا أدق من « السباحة » لدوران الاجرام السماوية في الفضاء البسيط اللطيف .

ويلاحظ هنا بوضوح أن القرآن الكريم يذكر أمراً جوهرياً ، ألا وهو وجود مدار لكل من الشمس والقمر ، كما يشير إلى تنقل هذين الجرمين في الفضاء كل بحركة خاصة .

وبالإضافة إلى ذلك فهذه الفقرة : « وكل في فلك يسبحون » تظهر أمراً آخر ، وهو الإشارة إلى تنقل الشمس على مدار ، دون تفصيل عن هذا المدار بالنسبة للأرض . فهذا المدار ظاهري فقط بالنسبة للملاحظ ، وقد كان يعتقد في عصر تنزيل القرآن أن الشمس تنتقل مع الأرض كنقطة ثابتة ، كان ذلك هو نظام المركزية الأرضية ، السائد منذ بطليموس ، أي منذ القرن الثاني قبل الميلاد والذي ظل يحظى بالتأكيد حتى « كوبرنيك » في القرن السادس عشر . هذا المفهوم - برغم التشيع له في عصر محمد ﷺ - لا يظهر في أي موضع من القرآن لا في الآيات الكونية ، ولا في مواضع أخرى .

فما عبرت عنه بحوث العلماء بكلمة « مدار » يقابلها في نص القرآن الكريم كلمة « فلك » وهي كلمة عربية قديمة ، فسرها كثير من المفسرين بكلمة « كرة » أي ضمنوها المعنى الكروي ، وترجمها حميد الدين بكلمة « مدار » .

ولقد حيرت الكلمة قدامي مفسري القرآن ، إذ لم يكن بمقدورهم أن يتخيلوا الرحلة الدائرية للقمر والشمس في الفضاء ، وعليه فقد تمثلوا عن مسيرة هذين الجرمين صوراً مغلوطة تماماً ، أو على درجات مختلفة من الصحة . ويذكر حمزة أبو بكر في ترجمة القرآن المعاني التي ذهب إليها العلماء في تفسير هذه الكلمة

منها : « هو كهيئة حديد الرحى ، كرة سماوية ، مدار ، بروج ، جرى ، سرعة . . . الخ » ولكنه يضيف إليها ما قاله الطبري ـ وهو من مفسري القرن العاشر الميلادي ـ :

« ونسكت عما لا علم لنا فيه . »

ذلك يوضح لنا إلى أي حد كان الناس عاجزين عن تصور فكرة المدار الشمسي والمدار القمري ، ويتضح من هذا أنه لو كانت كلمة « فلك » تعني مفهوماً سائداً في عصر صدر الإسلام لما لقى تفسير هذه الآيات مثل هذه المصاعب .

وعليه فقد قدم القرآن الكريم في ذلك العصر مفهوماً جديداً ، لم يتضح إلا بعد قرون عديدة .

- ٣ -

وتَعَاقُبُ الليل والنهار على الكائنات الحية تعاقباً رتيباً وبطيئاً للعين المجردة ، أوْحتي إلى الإنسان أن يتصور في باديء الأمر أن هذه الأرض لا تدور ، ثم لما أدرك دورانها لم يتخيل أنها تدور بهذه السرعة المذهلة ، إذ أن سرعتها تبلغ ألف ميل في الساعة حسب ما توصلت إلى مقياسه الآلات العلمية الحديثة . فلو حدد القرآن الكريم للإنسان في العصور القديمة سرعة دوران الأرض بالكيلو مترات ، لاختلف الناس في فهم هذه الصورة ، بل ربما انصرفوا عنه لعجزهم عن فهم ما يقول ولو حدث ذلك لكان منافياً للهدف الرئيسي لنزول القرآن ، ألا وهو هداية العقل الإنساني وتزكيته .

ولهذا عبر القرآن الكريم عن دوران الأرض بهذه السرعة المذهلة تعبيراً لا يثير رد فعل مضاد لهدفه الرئيسي ، ومع ذلك يتضمن الإشارة إلى ما سيثبته العلم الحديث بعد ذلك ، من أن الأرض تسير بهذه السرعة العجيبة ، يقول الله تعالى

﴿ يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً ﴾[١] فالمغشي يصح أن يكون الليل أو النهار ، لأن التعبير يحتملهما ، وهذا من أدق التعبيرات التي أفصحت عن ظاهرة كونية لا يصل إليها فكر الإنسان العادي في ذلك العصر ، وهي أنه بينما يغشي الليل النهار في نقطة ما ، فإن النهار يغشي الليل في نقطة أخرى في نفس الوقت ، فكل من الليل والنهار يطلب الآخر طلباً حثيثاً كي يغشاه ، ثم يكون ذلك على وجه التجدد المستمر .

فهذه الآية تحوي إشارة رائعة إلى دوران الأرض محورياً وهو الدوران الذي يعتبر سبب مجيء الليل والنهار طبقاً لمعلوماتنا الحديثة ، ثم أن كلمة « حثيثاً » تعني الإسراع ، فهي تعبر عن السرعة الهائلة التي تحدث في إزالة الليل النهار ، وإزالة النهار الليل ، نتيجة لدوران الأرض بسرعة ألف ميل في الساعة .

وقد أدلى رواد الفضاء بعد دورانهم حول الأرض بأنهم شاهدوا « تعاقباً سريعاً » بين الليل والنهار على سطح الكرة الأرضية ، وهو ما تعبر عنه الآية بكلمة « حثيثاً » .

جاء التعبير في القرآن الكريم عن حركة الأرض بنوعيها ـ حول نفسها وحول الشمس ـ عن طريق الإشارة ، لا بأسلوب التصريح والبيان ، إذ لو صارح الناس بحركة الأرض وهم يحسبونها ساكنة لكذبوه ، وحيل بينهم وبين هدايته ، فكان من الحكمة البالغة والإعجاز البلاغي في الأسلوب أن ينبه الناس في كتاب الله إلى آيته سبحانه في حركة الأرض حول محورها . وحركتها حول الشمس بمختلف الإشارات ، وإلى نتائج كل من لحركتين ، مَنًّا عليهم بها ، وحثًّا لهم على إكتناه أسبابها ، والبحث عما يوصلهم إلى إمكان تصورها ، فقد وصف الله سبحانه

(١) الأعـراف ٥٤ .

وتعالى الليل عند القسم به ، بالإدبار تارة في قوله : ﴿ والليل إذ أدبر ﴾[١] كما وصفه بالإقبال والإدبار كليهما في قوله : ﴿ والليل إذا عسعس ﴾[٢] لأن الفعل « عسعس » معناه أقبل ظلامه أو أدبر ، كذلك وصفه بالسُّرَى في قوله : ﴿ والليل إذ يسر ﴾ . وكلها أوصاف تقتضي الحركة ، وهي كناية عجيبة ، عن حركة الأرض اليومية ، لا تفهم على حقيقتها إلا إذا تذكرنا أن الظلمة هي الأصل في جو الأرض في النصف غير المقابل (أي المدابر) للشمس ، وإلا إذا تصورنا الأرض تدور حول محورها دورة في اليوم من المغرب إلى المشرق أمام الشمس ، ليتعاقب فيها الليل والنهار على كل مكان في الأرض على جانبي خط الإستواء إلى قريب من القطبين .

ومن عجيب أمر القسم بالصبح وبالنهار في القرآن الكريم أنهما لم يوصفا بإقبال ولا بإدبار ، لأن ذلك لو كان لما جاء بمعنى جديد ؛ إذ هو لازم حتماً من إدبار الليل وإقباله ، ولكنهما وصفا بالوصف الخاص بهما الناشيء عن سلوك الضوء ، ضوء الشمس في الغلاف الهوائي المحيط بالأرض ، وولوجه فيه تدريجياً عن طريق الإنكسار في طبقات الهواء العليا الأخف إلى طبقات الهواء السفلى الأكثف من الفجر إلى الأسفار ، ثم انتشاره بعد طلوع الشمس تدريجياً أيضاً بالانعكاس ، وعلى الآخص بالانكسار أيضاً حتى يعم النهار ، ولولا الغلاف الهوائي ما كان هناك فجر ولا صبح ولا إسفار في أول النهار قبل طلوع الشمس ، ولا شفق في آخر النهار بعد غروبها ، فليس شيء من ذلك بكائن على القمر مثلاً ، بعد أن فقد هواءه لضعف جاذبيته الناشيء عن صغر كتلته مع سرعة حركة الجزئيات في أي غاز .

(١) المدثر : ٣٣ .

(٢) التكوير : ١٧ .

(٣) الفجر : ٤ .

ولهذا عبر الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ والصبح إذا أسفر ﴾[1] بعد القسم بالليل إذا أدبر ، وجاء القسم بالنهار إذا جلى الشمس في قوله تعالى : ﴿ والنهار إذا جلاها ﴾[2] ، وليس على القمر نهار كالذي نعرفه على الأرض تتجلى فيه الشمس ، فسماء القمر تظل مظلمة في نهاره الطويل طول نصف شهر عندنا ، كما هو الحال في نهارنا أيضاً إذا علونا الغلاف الجوي بهوائه وسحبه ، كما استنتجه العلماء من أن الضوء لا يرى بذاته ، ولكن بالإنعكاس عن المرئيات ، وكما شاهده طيارو الفضاء حين دارت بهم مراكب الفضاء الصناعية حول الأرض أعلى من غلافها الجوي .

ومن عجب أن هذا الذي يستـجه العلماء وشاهده طيارو الفضاء من ظلمة السماء قاطبة بالنهار إذا علونا الأرض وتجاوزنا غلافها الهوائي ، هذه الحقيقة الذي لم يكن ليصدق بها أحد من قبل ، قد دل عليها القرآن الكريم صراحة في كلمتين هما : وأغطش ليلها . في قوله تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ﴾[3] فالضمير في « ليلها » راجع إلى السماء التي تتحدث الآيات عنها وحدها ، فالله سبحانه ينبئنا أنه أظلم ليل السماء لا ليل الأرض .

فكل هذه الآيات تدل دلالة واضحة على أن القرآن الكريم ليس من عند محمد ـ لأنه إنسان عاش في عصر لم يكن يعرف شيئاً عن هذه الحقائق الكونية ـ وإنما هو من عند الله ، الذي يعلم سر الكون ، فصاغ الحديث عنه للناس بأسلوب معجز بليغ ، يتحاشى معارضة من نزل عليهم ، وفي الوقت نفسه يحمل في طياته حقائق علمية لا تتصادم مع الإكتشافات العلمية الحديثة ، وذلك هو أعلى درجات

---

(١) المدثر : ٣٤ .

(٢) الشمس : ٣ .

(٣) المنازعات : ٢٧ ـ ٢٩ .

_ ٤ _

هذا ما يتعلق بالقسم الأول من معارف الإنسان الكونية وهو ما كان معروفاً له ، ولكنه لم يكشف قانونه ، أما القسم الثاني الذي لم يعرف الإنسان عنه شيئاً على الإطلاق ، فقد كشف القرآن الكريم فيه عن أسرار بالغة الأهمية ، ثبت صدقها بعد الدراسات الحديثة ، فقد طرح فكرة معينة محدودة المعالم حول بداية العالم ونهايته . ومن المعروف أن الإنسان القديم لم يتطرق إلى هذه الفكرة ، إذ لم يكن من الممكن أن يتصور أجزاءها .

يقول القرآن الكريم عن بداية الكون : ﴿ أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقافتقناهما ﴾[1] أي أنهما كانتا متماسكتين متضامتين ، ففصلهما الله سبحانه وتعالى عن بعضهما .

لم تكن هذه الفكرة معروفة عند الناس ، ولذلك فسرها ابن عباس بأن السماء كانت رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تنبت ، فلما خلق الله للأرض أهلاً ، ففتق هذه بالمطر ، وفتق هذه بالنبات ، فهذا التفسير وإن كان لا أساس له من الواقع إلا أنه وأمثاله أعطى للمسلمين في صدر الإسلام نوعاً من الرضا في فهم الآية ، كما أنه أغلق باب المنازعات والمشاحنات التي قد تحدث عندما يستغلق على الناس فهم نص ما ، استغلاقاً محكماً ، فكان نوعاً من التسكين ، إلى أن جاء العلم الحديث فبين ما ترمى إليه الآية ؛ إذ توصل العلماء خلال أبحاثهم ومشاهداتهم لمظاهر الكون إلى أن « المادة » كانت جامدة وساكنة في أول الأمر ، وكانت في صورة غاز ساخن كثيف متماسك . وقد حدث إنفجار شديد في هذه

---

(١) الأنبياء : ٣٠ .

المادة قبل ٥٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ بليون سنة على الأقل ، فبدأت المادة تتمدد وتتباعد أطرافها ونتيجة لهذا أصبح تحرك المادة أمراً حتمياً ، لا بد من استمراره طبقاً لقوانين الطبيعة .

فالآية تشير إلى عملية الانفجار هذه ، لأن معنى « فتق » هو فعل القطع أو فك اللحام أو الفصل ، وهو الذي عبر عنه العلم الحديث بالانفجار ، ولا يكون هذا إلا « للمرتوق » أي الملحوم ، والمتصل بعضه ببعض على هيئة التماسك والتلاحم ، إذ أن فصله عن بعضه ، يحدث صوتاً ، فكلماكان التماسك قوياً كان الصوت أشد وهو ما عبر عنه بالإنفجار . فإذا وضعنا تفسير الآية على ضوء ما وصل إليه العلم فإنه لا يخرج عن قولنا « كانتا رتقا » أي كانتا كتلة غازية متماسكة « ففتقناهما » أي أحدثنا إنفجاراً شديداً في المادة فبدأت تتمدد وتتباعد أطرافها .

ويقول القرآن الكريم عن نهاية الكون : ﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين . ﴾[1] أي نعيده كتلة كما كان سابقاً . ومن المعروف أن الإجسام والإجرام التي كُناً في القديم نحسبها كاملة وسالمة ، بينت الأبحاث أن أكثرها يحتوي على فضاء خال ، وأن كل جسم مادي يدور حول نظام ـ مثل نظام الشمس الذي تدور حوله نجوم وسيارات كثيرة ـ له فضاء خال . ومعنى ذلك أن كل شيء ـ حتى ولو بدأ متماسكاً ـ يحوي حيزاً من الفضاء في داخله ، ومثاله : أننا لو جردنا الفضاء أو المكان «SPACE» من الذرات المادية في الجسم الإنساني ، فلن نجد إلا كمية قليلة جداً من المادة تكاد تكون متناهية في الوجود .

وهكذا يرى علماء الطبيعة الفلكية أننا لو طوينا كل شيء في الكون بدون أن نترك للفضاء مكاناً فسيكون حجم الكون كله ثلاثين ضعفاً من حجم الشمس : إذن فيمكن ، أن يقال : إن هذه الآية تدل على إمكانية انكماش مادة الكون مرة

(١) الأنبياء : ١٠٤ .

أخرى لتعود إلى حالتها التي كانت عليها قبل الانفجار والتمدد ، وهو ما تشير الأبحاث الكونية إلى توقع حدوثه في المستقبل .

كذلك تحدث القرآن الكريم عن ظاهرة كونية أخرى ستظهر في المستقبل ، ألا وهو انشقاق القمر وتناثره في الفضاء فقال : ﴿ إقتربت الساعة وانشق القمر ﴾[1] أي اقتربت الساعة وسينشق القمر عند اقترابها . وهذه إشارة إلى ما توصل إليه العلماء من أنه لا بد في المستقبل القريب ـ وطبقاً لقانون دوران الإجرام السماوية ـ أن يقترب القمر من الأرض حتى ينشق من شدة الجاذبية ، وتتناثر أجزاؤه في الفضاء . وسوف تحدث عملية انشقاق القمر هذه بناء على نفس القانون الذي يحكم المد والجزر في البحار ، فالقمر هو أقرب جيراننا في الفضاء ولا يبعد عن الأرض غير ٢٤٠ر٠٠٠ ميلاً ، وهذا القرب يؤثر على البحار مرتين يومياً ، حيث ترتفع فيها أحياناً أمواج يبلغ طولها ستين متراً ، وأما تأثير هذه الجاذبية على سطح الأرض فيبلغ عدة بوصات .

ويرى علماء الفلك أيضاً أن الأرض مرت بأدوار أثناء عملية التكوين حتى وصلت إلى بعدها الحالي عن القمر بناء على قانون الفلك ، وهذا القانون هو نفسه سوف يأتي بالقمر قريباً من الأرض مرة أخرى . ويرون أن من المتوقع حدوث هذا قبل بليون سنة ، وعندئذ سوف ينشق القمر وسوف يتناثر حول فضاء الأرض في صورة حلقة .

أليسَت هذه النظرية من أعظم موافقات العلم لتلك النبوءة الواردة في القرآن الكريم حول انشقاق القمر ، حين تقترب القيامة ؟ .

---

(١) القمر : ١ .

- ٥ -

كذلك أشار القرآن الكريم إلى عدد من الظواهر الكونية التي لم يعرف المعاصرون لنزول الوحي عنها شيئاً ، وجاءت الأبحاث العلمية الحديثة مؤكدة صحة ما أخبربه الوحي عن هذه الظواهر ، فمثلاً نجد القرآن الكريم يشير إلى أن هناك أكثر من عالم واحد فيقول : « الحمد لله رب العالمين »(١) ويقول : « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين . »(٢) وقد تكررت هذه الكلمة : « العالمين » في القرآن الكريم أكثر من سبعين مرة ، فإذا كان مفهوم العالم لدى الإنسان العادي هو ما يحيط به من أرض وسماء ، فإن معنى ذلك أن هناك أكثر من مجموعة كونية ، أي عوالم متعددة ، وهو ما تقول به الاكتشافات الحديثة في عالم الفضاء ، إذ يرى العلماء أن هناك مجموعات عدة مثل مجموعتنا الشمسية .

ويؤكد القرآن الكريم تعدد المجموعات الكونية بقوله تعالى : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم . »(٣) وبقوله : ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين . ﴾(٤) وقوله : ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ﴾(٥) وقوله : ﴿ تسبح له السموات السبع ﴾(٦) وقوله : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن . ﴾(٧) فقد ذكر السموات السبع في أكثر من آية

(١) الفاتحة : ٢ .

(٢) الأعراف : ٥٤ .

(٣) البقرة : ٢٩ .

(٤) المؤمنون : ١٧ .

(٥) الملك : ٣ .

(٦) الاسراء : ٤٤ .

(٧) الطلاق : ١٢ .

وليس المقصود العدد (٧) بالتحديد ، وإنما المراد بهذا العدد أنهن كثيرات ، لأن الرقم «٧» إستخدم في القرآن الكريم ٢٤ مرة ، وكان دلالَتُهَ العدَدَ الكثير غير المحدود ، وهذا الاستعمال معروف عند كثير من الشعوب ، فالرقم «٧» يبدو عند اليونان والرومان وكأن له نفس معنى التعدد غير المحدد .

وبما أن الرقم «٧» يشير إلى تعدد غير محدد ، فيمكن استنتاج أن النص القرآني يشير بوضوح إلى أنه لا يوجد أرض واحدة فقط ، أرض البشر ، بل هناك في الكون كواكب أخرى تشبه الأرض يقول تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ، يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما . ﴾[1] .

كذلك ذكر القرآن الكريم أكثر من مرة أن الجبال أرسيت في الأرض حفاظاً على توازنها ، يقول تعالى : ﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم ﴾[2]ويقول : ﴿ وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم ﴾[3] فلم يكن الإنسان يدرك هذه الظاهرة ، وظل العلم جاهلاً بهذه الحقيقة طوال القرون الثلاثة عشر الماضية من يوم أن نزل القرآن حتى العصر الحديث ، حيث ظهرت لدارسي الجغرافيا الحديثة فعرفوها تحت اسم « قانون التوازن » ولا يزال العلم الحديث في مراحله البدائية بالنسبة إلى أسرار هذا القانون بقول الأستاذ/إنجلن C.R. Von Angeln٢٢ : ١١« من المفهوم الآن أن المادة ـ الأقل وزناً ـ ارتفعت على سطح الأرض ، على حين أصبحت أمكنة المادة الثقيلة خنادق هاوية وهي التي نراها الآن في شكل البحار . وهكذا استطاع الارتفاع والانخفاض أن يحافظ على توازن الأرض » .

(١) الطلاق : ١٢

(٢) النمل : ١٥ .

(٣) الأنبياء : ٣١ .

وجاء في « The World, we live in N.Y.1955 » أن « من الظواهر المحيرة أن هذه الخنادق البحرية توجد قرب السواحل البرية بدل أن توجد في أعالي البحار . ومن ذا يستطيع أن يعلم قدر ذلك الضغط الهائل الذي أحدث هذه المغارات السحيقة في قاع البحار ، ولكن قرب هذه الوديان من الجزر والبراكين يدل على أن هناك علاقة بين طول الجبال والخنادق البحرية . . . وهو أن الأرض يقوم توازنها على أساس الارتفاع والعمق في أجزائها المختلفة » .

أليس هذا دليلاً على صحة ما جاء في القرآن الكريم من الله جعل الجبال رواسي لتحفظ توازن الأرض . . . ؟ .

فمن علم محمداً هذه النظرية التي لم يعرفها أحد حتى العصر الحديث ؟ إنه الله الذي يعرف سر ما خلق ، هو الذي أخبره بها في أسلوب موجز لا يثير جدالاً بين المعاصرين لنزول الوحي لجهلهم بها ، وفي الوقت نفسه يشير في مضمونه إلى ظاهرة كونية ، سيكشف العلم عنها لتكون دليلاً على أن القرآن الكريم هو وحي الله الذي أنزله على محمد ، فهو ليس من عند محمد ، لأنه لو كان من عنده ما استطاع أن يخبرنا عن هذه الظواهر الكونية التي لم تكن معروفة في عصره .

ومما يزيد هذا المعنى تأكيداً أن القرآن الكريم تحدث عن الجبال في آية أخرى فقال : ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴾ .

فمن أعلم محمداً أن الجبال تسير ؟

فالرائي يراها فيظنها جامدة في مكانها لا تتحرك مع أنها تسير بسرعة كالسحاب ، فإذا كان السحاب يسير مسرعاً محمولاً على الرياح ، فإن الجبال محمولة أيضاً وليس لها حامل إلا الأرض ، فالأرض تدور حول نفسها حاملة الجبال فالجبال تسير بسرعة محمولة على الأرض كالسحاب الذي يسير بسرعة محمولاً على الرياح .

لم يعرف محمد هذا من ثقافة عصره ، ولم يكن ليستطيع أن يدركه بنفسه ، ولكنه من الله الذي يعلم جميع أسرار الكون ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . . .

كذلك وصف القرآن الكريم الجبال بالرسو على الأرض كما ترسو السفينة على الماء فقال : ﴿ والجبال أرساها ﴾[1] فإذا بحثنا عن السر في هذا التعبير ، لاحظنا أن هناك : ثقل المرساة ، وثقل السفينة إلى أسفل ، يقابله : ثقل الجبال . وهناك رفع الماء السفينة إلى أعلى ، يقابله : ضغط حرارة جوف الأرض بغازاته وأبخرته على الجبال .

وفي هذا الصدد يقول العالم الجيولوجي « فيشر » : « إن البحث من ناحيتيه : الرياضية والجيولوجية ، يدل على أن تحت القشرة الأرضية طبقة سائلة تحوي غازات مذابة ، وأن الجبال لها جذور غير منصهرة ذاهبة في منصهر سائل ، مادته أثقل من مادتها . » وقد دل البحث على أن متوسط كثافة مادة الجبال هو ٢ر٦ ، ومتوسط كثافة الأرض هو نحو ٥ر٥ جم/سم^{٣} . فبطن ارض السائل أكثر كثافة حتى من جبالها ، وهذه حقيقة علمية أخرى تقابل المعروف من أن متوسط كثافة السفينة ، أي وزنها مقسوماً على حجمها هو أقل من كثافة ماء البحر أو النهر ، وإلا لما طفت عليه ، بل لغرقت فيه . فإلى هذا الحد من الدقة يتحقق الشبه بين إرساء الجبال في أحد نوعيها الأساسية وبين إرساء السفينة ، وتبارك الله الذي أودع هذه الحقيقة عن الأرض وجبالها آية واحدة من كلمتين حيث قال : ﴿ والجبال أرساها ﴾ .

(١) النازعات : ٣٢ .

- ٦ -

وبعد أن عرضنا لبعض ما أخبر الله به محمداً في القرآن الكريم عن أسرار ما في البنية الكونية ، التي لم تكن معروفة للمعاصرين لنزول الوحي مما يدل على أنه ليس من عقل إنساني ، بل هو من الله ، عالم الغيب والشهادة يجد ربنا أن نذكر بعض الآيات التي وردت في القرآن مشيرة إلى إمكانية غزو الإنسان للفضاء الخارجي ، يقول الله تعالى : « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾[١] فالآية تشير إلى إمكانية البشر ذات يوم أن يحققوا ما نسميه في عصرنا « غزو الفضاء » .

وينبغي ألا نغفل أن الآية لا تشير إلى غزو الفضاء فقط ، بل تعبر عن إمكانية النفاذ عبر مناطق الأرض ، أي إستكشاف الأعماق .

وجاء في التعبير القرآني ما يفيد ـ من الوجهة البلاغية ـ على أن هذا من الممكن وقوعه مستقبلاً ، ذلك أن في اللغة العربية ثلاثة حروف شرط هي : « إذا » « ولو » ، « إن » « ق » « إذا » للتعبير عن الإحتمال المؤكد ، و« لو » للتعبير عن الإمتناع ، و« إن » للتعبير عن الفرض الجائز ، فكون القرآن يؤثر التعبير بـ« إن » التي تدل على الفرض الجائز يشير إلى أن غزو الإنسان الفضاء الخارجي مما يجوز وقوعه .

ويتضح ذلك من المقارنة بين هذه الآية ، وبين آيتين أخريين تتحدثان عن نفس الموضوع ، وهما قوله تعالى : ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنا سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾[٢] فقد صدرت الآيتان بحرف « لو » الذي هو للإمتناع ، لأنهما تتحدثان عن فرض لن يتبعه أي إنجاز ،

(١) الرحمن : ٣٣ .

(٢) الحجر : ١٤ ـ ١٥ .

وما ذاك إلا لأنهما تتحدثان عن فرض صعود أهل مكة في ذلك الزمن إلى السماء ، وذلك لن يشهده أهل مكة في ذلك الزمن .

فهذا الإختلاف في التعبير ، طبقاً للتحقق وعدم التحقق لا يتأتى من إنسان أمي لم يعرف عن حقيقة الكون شيئاً له قيمة في عالم الأبحاث الفضائية ، ولم يكن لديه ما يمكنه من الحكم بذاته على أن الإنسان سوف يستطيع مستقبلاً الصعود إلى الفضاء ، وعليه فهو لم يخبر بشيء من عند نفسه ، وإنما هو مبلغ ما أوَحِى إليه من عند الله .

ونحب أن نختم حديثنا عما في القرآن الكريم من إشارات إلى أسرار كونية كشفها العلم ـ وما زال يكشف عنها ـ بعد أربعة عشر قرناً من نزوله بواقعة رواها العالم الهندي الدكتور عناية الله ، فهو يقول :

« كان ذلك يوم أحد ، من أيام سنة ١٩٠٩ ، وكانت السماء تمطر بغزارة ، وخرجت من بيتي لقضاء حاجة ما ، فإذا بي أرى الَفلكي المشهور « السير جيمس جينز » ـ الأستاذ بجامعة كمبردج ـ ذاهباً إلى الكنيسة ، والإنجيل والشمسية تحت إبطه ، فَدَ نَوْتُ منه ، وسلمت عليه ، فلم يرد عليّ ، فسلمت عليه مرة أخرى فسألني : « ماذا تريد مني ؟ فقلت له : أمرين يا سيدي : الأول هو : أن شمسيتك تحت إبطك رغم شدة المطر ، فابتسم « السير جيمس » وفتح شمسيته على الفور ، فقلت له : وأما الأمر الآخر فهو : ما الذي يدفع رجلاً ذائع الصيت في العالم ـ مثلك ـ أن يتوجه إلى الكنيسة ؟ وأمام هذا السؤال توقف « السير جيمس »لحظة ، ثم قال : عليك اليوم أن تأخذ شاي المساء عندي . وعندما وصلت إلى داره في المساء ، خرجت « ليدي جيمس » في تمام الساعة الرابعة بالضبط ، وأخبرتني أن « السير جيمس » ينتظرني . وعندما دخلت عليه في غرفته ، وجدت أمامه منضدة صغيرة موضوعة عليها أدوات الشاي ، وكان « البروفيسور » منهمكاً . . في أفكاره . وعندما شعر بوجودي ، سألني : ماذا كان

سؤالك ؟ ودون أن ينتظر ردي ، بدأ يلقي محاضرة عن تكوين الأجرام السماوية . ونظامها المدهش ، . . . وأبعادها وفواصلها اللامتناهية ، وطرقها ، ومداراتها ، وجاذبيتها ، وطوفان أنوارها المذهلة ، حتى أنني شعرت بقلبي يهتز بهيبة الله وجلاله ، وأما « السير جيمس » فوجدت شعر رأسه قائماً ، والدموع تنهمر من عينيه ، ويداه ترتعدان من خشية الله ، وتوقف فجأة ثم بدأ يقول : يا عناية الله . . . عندما ألقي نظرة على روائع خلق الله ، يبدأ جسمي يرتعش من الجلال الإلهي ، وعندما أركع أمام الله وأقول له : إنك لعظيم : أجد أن كل جزء من كياني يؤيدني في هذا الدعاء ، وأشعر بسكون وسعادة عظيمين . وأحس بسعادة تفوق سعادة الآخرين ألف مرة ، أفهمت يا عناية الله خان ، لماذا أذهب إلى الكنيسة ؟

ويضيف العلامة عناية الله قائلاً :

لقد أحدثت هذه المحاضرة طوفاناً في عقلي ، وقلت له : يا سيدي لقد تأثرت جداً بالتفاصيل العلمية التي رويتموها لي ، وتذكرت بهذه المناسبة آية من أي كتابي المقدس ، فلو سمحتم لي لقرأتها عليكم ، فهز رأسه قائلاً : بكل سرور ، فقرأت عليه الآية التالية :

﴿ ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك . إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾[1] .

فصرخ السير جيمس قائلاً :

ماذا قلت ؟ ـ إنما يخشى الله من عباده العلماء ؟ ! مدهش وغريب وعجيب جداً . . .

إنه الأمر الذي كشفت عنه دراسةٌ ومشاهدةٌ استمرت خمسين سنة ، من أنبأ محمداً به ؟

---

(١) فاطر : ٥٣ .

هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة ؟ لو كان الأمر كذلك فاكتب شهادة مني أن القرآن كتاب موحى من عند الله .

ويستطرد« السير جيمس جينز » قائلاً :

لقد كان محمد أمياً ، ولا يمكنه أن يكشف عن هذا السر بنفسه ، ولكن « الله » هو الذي أخبره بهذا السر . . . مدهش . . . وغريب ، وعجيب جداً . . .